الملتقى الدولي : **الحديث النبوي الشريف وآليات تحليل الخطاب"**

بتاريخ 14-15 مارس 2022

مداخلة : الحجاج في الخطاب الحديثي-

دراسة تطبيقية في أحاديث من صحيح البخاري-

د/ نورالدين بوزناشة.

nourbouza@yahoo.fr

قسم اللغة العربية -جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

يتجلى الجانب الحجاجي في الحديث النبوي الشريف بصورة واضحة؛ تعكس سعي النبي الكريم إلى إقناع المخاطب بالتزام مكارم الأخلاق التي تهذب سلوكه، و تحسن معاملته، وعلاقته مع غيره؛ فتجعله فردا صالحا في مجتمعه؛ لأن العربي في ذلك الوقت كان يعيش في جاهلية تفشت فيها الرذائل وأنواع الظلم؛ فجاء الرسول مبلغا ومحاججا وداعيا إلى الفضائل بالحكمة، والموعظة الحسنة، والرفق واللين؛ وذلك لأجل تربية الناس وتطهير نفوسهم؛ ومن ثمة؛ كان خطاب الرسول للعقل والوجدان في آن واحد؛ فقد خاطب عقولا تباينت في أنماط تفكيرها، و قدرتها في الفهم والاستيعاب ، ونفوسا تنوعت أهواؤها، واختلفت مشاربها ؛ فاستطاع عن طريق الخطاب الحجاجي النفاذ إلى عقول و قلوب الناس باستمالتهم، و إقناعهم بتغيير أفكارهم، وسلوكهم، وهو ما يتلاءم مع مهمة الإبلاغ الموكلة إليه.

ولهذا تضمنت الأحاديث النبوية العديد من جوانب الحجاج خاصة ما تعلق منها بمسائل العقيدة والمعاملات والأحكام؛ لأنّ الرسول الكريم كان يهدف إلى إقناع العقول والتأثير في القلوب .

و من الكتب الجامعة التي جمعت أحاديث الرسول المتعلقة بالمعاملات والأحكام والعقيدة؛ صحيح البخاري.

تعالج المداخلة الإشكالية الآتية: ما أهمية الحجاج في البيان النبوي؟، وما دوره في الكشف عن هذا البيان،؟ وما مظاهر الحجاج في الحديث النبوي؟ وما نماذج الحجاج في البيان النبوي؟، وما تقنيات وأبعاد الحجاج المختلفة في الحديث النبوي في مستوى الكلمة ،والتركيب، والصورة؟

تهدف هذه المداخلة إلى: الكشف عن أهمية الحجاج في البيان النبوي، وتوضيح دوره في هذا البيان؛ إذ إنّ من وظائفه إقناع السامع واستمالته.

ـ بيان مظاهر الحجاج في الحديث النبوي مع ذكر النماذج البارزة فيه.

ـ الكشف عن تقنيات، وأبعاد الحجاج المختلفة في مستوى الكلمة المفردة، والتركيب والصورة .

ـ بيان أن الحديث النبوي أنموذج حجاجي راقي؛ يحتذى به في مجالات مختلفة؛ البلاغة وعلوم الاتصال، الدعوة...

تمهيد:

لقد ارتبط الحجاج بطبع الإنسان الميال إلى الجدل؛ حتى صار – عنده- جبلّة تغذيها النّزعة الذاتية تجاه ما يواجهه من مواقف وأحوال، وهذا ما يخبرنا به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[1]، فكلمة "جدلا "في الآية تعني:" المنازعة بمعارضة القول؛ أي: هو الكلام الذي يحاول به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي أو عزم عليه بالحجّة أو بالإقناع أو بالباطل"[22]، ومعنى قوله : ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾؛ أي: "كثير جدله"[3] ؛ ذلك أنّ الإنسان بحكم ما يملكه من مؤهلات ذهنية، إضافة لما يحمله من ميولات ورغبات يسعى إلى الدفاع عن ذاتيته وميوله بشكل تلقائي، ممّا جعل ميله إلى الجدل وحبّه له طبعا راسخا فيه؛ قصد إثبات وجوده وإظهار شخصيته، يقول محمد التومي: "إنّ الإنسان بما له من استعدادات ذهنية وملكات إدراكية، وبما له من نوازع ذاتية وميول نفعية كان أكثر الكائنات جدلا، والجدل عبارة عن قدرة كلامية وبراعة حجاجية قد تستخدم لإثبات الحق"[4].

ويجد المتتبع للنص القرآني توظيفا للحجاج ضمن سياقات كثيرة ؛ إذ نجد مثلا في سياق تبيانه سبحانه وتعالى للخصوصية الإعجازية التي امتاز بها القرآن وتفوق من خلالها على قدرة البشر- يحاجج الكفّار ويتحدّاهم بالإتيان بآية أو بسورة من مثله، يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]، وقد يطالبهم بالحجّة والبرهان صراحة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[6].

---

[1] - سورة الكهف، الآية 54.

[2] ـ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1984، ج15، ص348.

[3] ـ المرجع نفسه، ج15، ص 348.

[4] - محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب، الجزائر ، دت،ص14.

[5] - سورة البقرة، الآية 23.

[6] - سورة البقرة، الآية 111.

وكذلك توظيفه في قصة إبراهيم للدلالة على المخاصمة والمنازعة؛ قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ** ﴾[1].

أمّا في الحديث النبوي فقد عدّ الحجاج ركيزة أساسية فيه؛ باعتباره خطابا غائيا موجها؛ ومنهجا في التواصل البشري المثمر الذي استطاع بواسطته الرسول الكريم أن يربي، ويطهر النفوس ويزكيها ويغيرها، وينشر دعوة الحق بأسلوب فيه الحكمة واللين و السماحة؛ قال تعالى : ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[2]،وذلك ليؤدي وظيفة البلاغ التي أمره الله بها؛ وما كان ليكون ذلك لو لا أنه أوتي بلاغة رفيعة وفصاحة وموهبة لغوية؛ فضلا عن تأثره ببلاغة القرآن الكريم الذي هيأه الله لتلقيه ،وإيصاله إلى الناس وإفهامهم على الرغم من تفاوتهم ؛ لأنّ فيهم أهل بيان وبلاغة ومكر ولدد عند الخصومة[3]، يقول الجاحظ:" ذكر الله عزوجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء، والنكراء، والمكر، ومن بلاغ الألسنة، واللدد عند الخصومة... ثم ذكر خلابة ألسنتهم واسمالتهم الأسماع بحسن منطقهم"[4].

ومن ثمة؛ كان الحجاج في الحديث وسيلة للتأثير في الناس ؛ وذلك عن طريق إقناع العقول، واستمالة القلوب؛ لأجل اتباع الدين الصحيح والتحلي بالخلق الكريم.

1_ **التعريف بالبخاري[5]:**

أ_ اسمه ونسبه:

هو : أبو عبدالله بن أبي الحسن، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه،الجعفي مولاهم، البخاري.

فأمَّا الجعفي :فنسبة إلى يمان الجعفي الذي أسلم على يديه المغيرة جَدّ البخاري، وكان قبلُ مجوسيًّا، فنُسِب إليه نسبة ولاء إسلام

وأمَّا البُخاري :فنسبة إلى مدينة" بُخارى "الواقعة في بلاد ما وراء النَّهر، وهي الآن تقع في الجزء الغربي من جمهورية "أُوزبكستان.

ب_ ولادته:

ولد يوم الجمعة بعد صلاتها، لثلاث عشرة ليلةً خلت من شهر شوَّال، سنة أربع وتسعين ومائة، "بِبُخارى".

ت_نشأته:

مات أبوه وهو صغير، فنشأ في حِجْر أمِّه، وكان أبوه قد ترك مالاً أعان أمَّه على تنشِئته وتربيته التربية الكريمة.

ث_ **طلبه للعلم والحديث ورحلاته:**

ظهر نبوغه العلميُّ في سنٍّ مبكرة وهو ابن عشر سنين، فبدأ بطلب العلم ببلدِه "بُخَارَى" قبل أنْ يرتحلَ منها، وفي ست عشرة سنة حفظ كُتب ابن المبارك ووكيع....

---

[1] _ سورة البقرة، الآية 258.

[2] _ سورة آل عمران، الآية 159.

[3] _ أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، الدارالمتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016، ص7.

[4] _ الجاحظ، البيان والتبيين، تحق: عبد السلام هارون، دارالفكر، بيروت، لبنان، ج1، ص 8_9.

[5] _ ينظر:https://www.alukah.net/culture/0/21392

فكان أول ارتحاله في طلب العلم، حوالي سنة عشر ومائتين، ثمَّ رحل إلى المدينة، والشام، ومصر، ونَيسابور، والجزيرة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، وواسط، ومرو، والرّيّ، وبَلْخ، وغيرها.

ج- شيوخه:

ابتدأ السَّماع من شيوخ بلده" بُخارى"، فسمع أولاً من عبدالله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي المسندي، ومحمد بن سلام البيكندي، وجماعة من أكابر العلماء.

ح_ تلامذته:

أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ لا يُحصَون،من أبرزهم الإمام مسلم بن الحجَّاج صاحب" الصحيح"، والإمام الترمذي صاحب" الجامع"، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيَّان، وابن خزيمة، وصالح بن محمد.

هـ_ وفاته:

توفي البخاري ليلة السبت بخَرْتَنْك، سنة ست وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا.

و_ مصنفاته:

نذكر منها: **الجامع الصحيح**"، "الجامع الصغير"، "الجامع الكبير"، "**الأدب المفرد**"، "أسامي الصحابة"، "الأشربة"، كتب التاريخ: الكبير والأوسط والصغير، "التفسير الكبير"، "خلق أفعال العباد"، "رفع اليدين في الصلاة"، "الضعفاء الصغير"، "العلل"، "الفوائد"، "القراءة خلف الإمام"، "قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم"، "الكُنَى"، "المبسوط"، "المسند الكبير".

2_ التعريف بصحيح البخاري[1]:

عرف هذا المؤلف قديمًا وحديثًا باسم: "صحيح البخاري"، وله تسمية أخرى ألا وهي "الجامع الصّحيح" ، أمَّا اسمُه الكامل الذي سمَّاه به مؤلِّفه فهو : "الجامع المسند الصَّحيح من أمور رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - وسُنَنه وأيَّامه".

مكث البخاري في تصنيفه للجامع الصحيح مدة ست عشرة سنة.

يتمحور موضوعه (الكتاب)حول الأحاديث الصحيحة؛ وقد ضم الكتاب ما يقرب من سبعة آلاف وخمسمائة حديث صحيح تم انتقائهم من أصل ستمائة ألف حديث، فكان البخاري يتحرى ويسافر في جمعها؛ حتى يتأكد من صدق الأحاديث وروايتها عن الرسول الأمين،

بلغ عدد الكتب التي عقدها البخاريُّ في صحيحه (97) كتابًا، بدأها بكتاب بَدْء الوحي، فكتاب الإيمان، فكتاب العلم، ثمَّ كتب العبادات من الوضوء والغُسل... إلخ، وتناوَل في تلك الكتب سائرَ أحكام الشرع العملية والاعتقادية، ومن الكتب التي عقدها: كتاب تفسير القرآن، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب الأدب، وكتاب الدعوات، وكتاب الرِّقاق، وممَّا ذكره كتاب أحاديث الأنبياء، وكتاب المناقب، وكتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وضمنه: باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسَن رضي الله عنه، وباب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباب مناقب الحَسَن والحسين رضي الله عنهما، وباب مناقب فاطمة عليها السلام، وعقَد كتاب المغازي لذِكر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته، ثمَّ ذكَر أخيرًا: كتاب الفِتَن، وكتاب الأحكام، وكتاب التَّمَنِّي، وكتاب أخبار الآحاد، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، وختم كتابَه بكتاب التوحيد.

[1] _ ينظر: https://www.alukah.net/culture/0/115385.

وقد لقي مصنفه استحسانا وقبولا من طرف العلماء ؛إذ أجمعوا على صحة جميع الأحاديث المتضمنة فيه؛ ولذلك عكفوا عليه بالدرس والشرح والنسخ والاستماع ؛ فهو أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم.

قبل الولوج في عرض معالم نظرية الحجاج، وتطبيق ذلك في تحليل نصوص مختارة من صحيح البخاري؛ نحدد مفهوم الحجة والحجاج من الناحية اللغوية والاصلاحية.

3- مفهوم الحجّة والحجاج:

تشير **لفظة** الحجّة والحجاج في **مدلولها** اللغوي في معاجم اللغة العربية إلى عدّة معانٍ نذكر منها:

جاء في معجم **المقاييس** لأحمد بن فارس قوله:" يقال: حاججت فلانا فحججته؛ أي: غلبته بالحجّة، وذلك الظّفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج والمصدر الحجاج"[1].

كما نجد في لسان العرب **لابن منظور** مايلي :"حاججته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحجّة: هي البرهان أو ما دوفع به الخصم، وتجمع الحجّة على حجج وحجاج، ويقال: حاجّه محاجّة وحجاجا؛ أي نازعه الحجّة، والتحاج هو التخاصم، والرجل المحاجج هو الرجل الجدل

والاحتجاج:من احتج بالشيء؛ أي: اتخذه حجّة، ويقال أنا حاججته، فأنا محاجة وحجيجه؛ أي: مغالبه بإظهار الحجّة التي تعني: الدليل و البرهان"[2].

نلاحظ مما ورد ذكره في المقاييس واللسان أنّ الحجّة يراد بها: البرهان أو الدليل الذي يدفع به الخصم، ومنها تأتي المحاججة والتحاجج والحجاج التي تدّل على التخاصم والمغالبة بالحجّة.

أمّا من الناحية الاصطلاحية ، فقد أورد بعض الدارسين تعريفات للحجّة والحجاج نذكر منها:

عرّف **أبو هلال العسكري** الحجّة والاحتجاج، قائلا :"الحجّة هي الاستقامة في النّظر والمضي فيه على سنن مستقيم من ردّ الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المحجّة وهي الطريق المستقيم وهذا هو فعل المستدلّ...لأنّ الحجّة مشتقّة من معنى الاستقامة في القصد حجّ يحجّ إذا استقام في قصده...والاحتجاج هو الاستقامة في النّظر على ما ذكرنا، سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره"[3]

---

[1] ــ ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تحق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، دت، ص 250.

[2] - ابن منظور، لسان العرب،دار صادر بيروت، لبنان ،1997، ص28 .

[3] ــ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحق محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة، مصر ، دت، ص 70.

وعرّف **الشريف الجرجاني** الحجّة أيضا فقال: "ما دلّ به على صحّة الدعوى، وقيل: **الحجّة** والدليل واحد"[1]، يفهم من هذا القول أنّ **الحجّة** تدلّ على البرهان والإثبات.

أمّا **الحجاج** فقد عرّفه بعض الدارسين العرب المعاصرين، وعلى رأسهم طه عبد الرحمن قائلا: "أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض"[2]، فتصوّره للحجاج مبني على أساس وجود نيّة الادعاء عند المتكلم ونيّة الاعتراض لدى المتلقي[3]، وفي السياق نفسه يقدم محمد الولي تعريفا له يورد فيه أنّه "يقصد إلى دعم رأي ما بواسطة الدفاع عنه، والتنفيذ لما قد يكون رأيا معارضا له، وهذا يعني أن **الحجاج** هو: دوما توجه نحو شخص أو جهة لأجل الإقناع وتعديل موقفه أو تثبيته"[4].

وإذا عدنا إلى الدّرس اللساني الغربي فإنّنا نجد تعريفات كثيرة نذكر منها:

يعرّف **شاييم بيرلمان** (Ch. Perelman)الحجاج بقوله : "جعل العقول تذعن وتسلّم لما يطرح عليها من الأقوال، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان وذلك التسليم. فأنجع الحجاج و أنجحه ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب"[5].

نلاحظ أنّ تعريف **بيرلمان** للحجاج ارتبط بالغائيّة لا الماهية، إذ نلمحه في هذا النص يقرن الحجاج بالإقناع الذي يعدّ غاية العملية الحجاجية؛ وذلك من خلال الأثر الذي يتركه تلفظ المتكلم في المتلقي فيدفعه إلى الإقدام أو الإحجام؛ أي أنّ الإقناع يكمن في ردة فعل المتلقي تجاه ما يقوله المتكلم. ولهذا يراد بالحجاج "ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع أو الإفحام معا أيا كان متلقي هذا الخطاب ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك"[6].

وعرّفه أيضا **أوزوالد ديكرو** (Oswald Ducrot) بقوله: "نقول عن المتكلم إنّه يقوم بحجاج، حينما يقدم القول ق1 (أو مجموعة الأقوال) و غايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول (أو أقوال) آخر ق2"[7]، معنى ذلك أنّ الحجاج يتضمن إنجازا لعملين: **الأول** يتعلق بما يقدمه القول من الحجج، و**الثاني** ما يحيل عليه هذا القول من استنتاجات، وهذا يعني أنّ

---

[1] - الشريف الجرجاني، التعريفات، تحق محمد عبد الرحمان المرعشلي ، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1 ،2003، ص 145 .

[2] - طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1 ، 1998 ، ص 226.

[3] - المرجع نفسه، ص 225-226.

[4] - محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية و غربية، منشورات دار الأمان ، الرباط، المغرب، ط 1، 2005، ص 19.

[5]_ Chaim Perelman et Lucie Olbrechts- Tyteca ,Traité de L'argumentation, Editions de l'université de Bruxelles, Belgique, 6 édition, 2008 , P59 .

[6] - حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري، (مقال) عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ،مج30 ،ع سبتمبر 2001 ،ص99 .

[7]- O.Ducrot &Anscombre, L argumentation dans la langue, Pierre Mardaga Editeurs ,Bruxelles ,3édition ,1997 ,P8.

الحجاج مرتبط بالاستنتاج الذي ينشأ من داخل اللغة لا من خارجها، وهو ما يؤكّده بقوله : "إنّ التسلسلات **الحجاجية** الممكّنة في خطاب ما، ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها"[1].

ومن هذه التعريفات نستخلص:

- أنّ **الحجّة** ترمز كما ذكرنا آنفا إلى البرهان والدليل، وأنّ **الحجاج** يهدف إلى التغيير في سلوك المتلقي أو معتقده؛ قصد استمالته والتأثير عليه، أو هو: "تقديم **الحجج** والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة"[2].

وقد لقي الحجاج في العصر الحديث عناية خاصة تجلت في ولادة نظرية تهتم **بالحجاج**، وذلك على يدي **بيرلمان وزملائه** وأيضا **ديكرو** الذين وضعوا معالمها وأرسوا مبادئها وأقاموا ركائزها على أساس دراسة الخطاب.

3_1- موضوع الحجاج وغايته:

بين **بيرلمان** موضوع الحجاج وغايته؛ بقوله : " هو دارسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم "[3].أي أنّ موضوع الحجاج يكمن في دراسة التقنيات الخطابية ،والغاية من ذلك هي حمل المتلقي على التسليم والإذعان، وبذلك يصبح الحجاج _في نظره _ظاهرة لسانية منطقية تهدف إلى تحقيق الإقناع، وهذا عن طريق تغيير سلوك المتلقي ومعتقده؛ بحيث يجري هذا التغيير في هدوء بواسطة الحوار لا الإكراه، فهو بحث في عالم الممكن والمحتمل لا الثابت المستقر أو اليقين، لأن حقائقه تقبل النقاش بغية الوصول إلى إقناع المتلقي وحمله على تسليمه بالنتائج .

وعليه، يتحدد موضوع الحجاج عند **بيرلمان** في "ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما"[4] ؛والغاية من ذلك كله تحصيل الإقناع، يقول الشهري: "الغرض التداولي من الحجاج هو تحصيل الإقناع"[5].

وفي مقابل التوجّه المنطقي الحجاجي لـ "**بيرلمان** "نجد **ديكرو** يعدّ الحجاج ظاهرة لسانية "تهتم بدراسة الوسائل اللغوية وبإمكانات

اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم؛ وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية"[1] ،وبهذا يصبح موضوع الحجاج مرتبطا ببنية الأقوال أو الخطاب[2].

---

[1] - المرجع نفسه ،ص121.

[2] -أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)،كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2006، ص57 .

[3] _O.Ducrot &Anscombre, L argumentation dans la langue ,P5

[4] - المرجع نفسه، ص 57 .

[5] - عبد الهادي بن ظاهر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان،ط1، 2004 ص 456.

أمّا الغرض الذي يدور حوله **الحجاج** فهو الإقناع، ففي الخطابات الحجاجية يتجّه المرسل بخطابه نحو الأثر التداولي (الإقناع)، و"من هنا يكون الإقناع هو مجال المبحث **الحجاجي**"[3].

وإذا كانت هذه هي الغاية الأسمى للحجاج (الإقناع) فإنّ ذلك يستدعي رصدا لكلّ الوسائل اللغوية الملائمة والمناسبة بقصد التّأثير في المتلقي (من خلال تغير سلوكه أو معتقده).

وهكذا، تغدو العملية الإقناعية عملية خطابية يتوخّى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعلٍ أو تركٍ أو توجيهه إلى اعتقاد قول ما، فيكون بذلك **الحجاج** مرادفا للفعل، ومن ثمّ يصبح الخطاب هدفا أكثر من كونه وسيلة.

وإجمالا نقول، إنّ **موضوع** الحجاج هو **الخطاب** ، أمّا **الهدف** فهو **الإقناع**[4].

3_2- علاقة الحجاج بالاختلاف :

يرتبط الحجاج بوجود الاختلاف[5]؛ إذ كلّ محاور يسعى للتّأثير في مستمعه بواسطة الحجج التي يقدمها بهدف إقناعه بوجهة نظره وصواب رأيه؛ لأنّ" المُتحاورِينَ لا يتقاسمون في كل الأحوال نفس المعارف ونفس المقتضيات الحوارية، و هو ما يجعل طبيعة **الاختلاف** الموجود بينهم تلعب دورا مركزيا في تحديد نمط الحوار الذي يمكن أن يتخذ سبيلا ناجعا لرفع أوجه التباين بينهم"[6].

وبذلك يصبح الاختلاف هو باعث الحجاج والمغذّي الأوّل له، بل إنّ الحجاج أو الحوار ينبني عليه[7]، ولهذا كان الحجاج ملازما لميدان الخلاف، وهذا التصوّر قد عرف مند القديم و ما زال حاضرا بشكل واسع في عصرنا الحديث بسبب تعدد مظاهر الاختلاف، يقول هشام الريفي: "إنّ اعتبار الحجاج عموما ملازما للفضاء الخلافي تَصوّر تَوَاصَل منذ **أرسطو** إلى العصر الحديث" [8].

---

[1] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي(مقال)، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، ص55.

[2] -ينظر: أوزفالد ديكرو، السلالم الحجاجية (مقال)، كتاب تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية و المعرفية والتداولية والحجاج، ترجمة صابر الحباشة، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط،1، 2007، ص205 .

[3] - محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع، يناير، مارس، 2000، ص67 .

[4] - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب ، 2005، ص 16.

[5] - ينظر: حسان الباهي، الحوار و منهجية التفكير النقدي ،أفريقيا الشرق، المغرب ،2004 ،ص 12 .

[6] - المرجع نفسه، ص12 .

[7] - المرجع نفسه، ص12.

[8] - هشام الريفي ،الحجاج عند أرسطو ،ضمن كتاب ،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"إشراف حمادي صمود جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ،تونس ،كلية الآداب ،منوبة،1998 ،ص123، نقلا عن عبد الهادي بن ظاهر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص461.

4_ التعريف بالنظرية الحجاجية الحديثة:

تشمل النظرية الحجاجية على اتجاهين مختلفين: **الأول**: خطابي منطقي فلسفي يمثله أرسطو وشاييم بيرلمان؛ ركز فيه على الاستدلال العقلي نحو: القياس والتمثيل، والحجج الجاهزة؛ نحو: الأقوال المصادق عليها من قبل الناس.

1_ الحجاج الأرسطي: تقسيم الحجج إلى حجج: جاهزة (لا دخل للمتكلم في صياغتها)،وأخرى غير جاهزة (مبتكرة).

ومن الحجج الجاهزة: الأقوال التي لها تصديقات؛ نحو الأيمان، الشهود...

1_1_ الحجج غيرجاهزة : ويدرج فيها : القياس الإضماري، والمثال.

أ_ القياس الإضماري: يسمّي أرسطو هذا القياس: قياسا خطابيا، والشاهد استقراء خطابيا كذلك [1]؛ لأنّ المتكلم يبرهن على إثباتاته إما بالقياس المضمر أو الشاهد، ولكل منهما مقام يستدعيه حسب سياق الحجاج[2].

وفي الحقيقة إن تسمية هذا القياس "بالمضمر" أو الضمير ترجع إلى مخالفته للقياس المنطقي (العلمي) بإضماره لبعض مقدّماته، فهو قياس ناقص من الناحية العلمية، ولكنه كامل أو تام في الذهن ؛ مثال ذلك:

مقدمة كبرى (مذكورة): كل إنسان فان

مقدمة صغرى(ضمنية) سقراط إنسان

نتيجة (ضمنية): سقراط فان .

ب_ المثال/ (الشاهد)

يمثل الشّاهد (المثال) الجنس الثاني من الحجج التي يعدّها أرسطو عمدة الحجاج[3]، ويسميه استقراء خطابيا في مقابل الجدلي (المنطقي)[4]، فهو حجة أو برهان قائم على المشابهة بين حالتين نصل بواسطة المقارنة بينهما إلى نتيجة؛ يقول محمد العمري: "المثل استقراء بلاغي، والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"[5], فالشاهد، إذا، يمتاز بكونه استدلالا خطابيا يوظفه الخطيب (المتكلم) قصد الإقناع من خلال تغيير حال السامع أو التأثير على معتقده وفعله، ولا يتأتى له ذلك إلا بمعرفة مواضع التشابه بواسطة حسه الجمالي المرتبط بتحليله للنصوص والتجارب السابقة، ويرى بارث: "أنه تشبيه إقناعي حجة بواسطة التشابه، إننا نجد أمثلة جيدة إذا كنا

---

[1] - المرجع نفسه، ص 19 . أرسطو طاليس ، الخطابة، حققه عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت،1979، ص 11 .

[2] - المرجع نفسه، ص 19 .

[3] - يسمى الاعتبار / الإيفاغوغي ، أرسطو طاليس ، الخطابة ، ص 138 . ابن رشد ، تلخيص الخطابة، حققه عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دط،دت، ص25.

[4] - يقول ابن رشد: "والمثال كما قيل في هذه الصناعة شبيه بالاستقراء في صناعة للجدل "، ص232.

[5] - محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، المغرب،ط2، 2002 ص82 .

نتوفر على موهبة رؤية التشبيهات"[1]، ولكن هذا التشابه قد يكون بكلمة أو حدث أو مجموعة حوادث[2] نبني بواسطتها حكما انطلاقا من تتبع كل حالة، وهو بذلك يمثل نوعا خاصامن الاستقراء البلاغي فـ"نحن ننتقل من خاص إلى خاص آخر بواسطة حلقة خفية للعام، إننا نستنتج من موضوع ما الطبقة، ومنها ننطلق لنعطي موضوعا جديدا"[3].

أما الحجاج عند بيرلمان فيرتكز على جملة من التقنيات منها:

أ- الحجج شبه منطقية[4]: وهي التي تقبل الصياغة المنطقية ولا تتضمن الإلزام؛ ويدرج تحتها[5]:

_حجة التضمين:

تقوم على الاستقراء التّام من خلال تضمين الجزء في الكلّ،فيصبح ما يصدق على الكل يصدق أيضا على الأجزاء.

_حجة التقسيم:

حجَّة التقسيم مخالفة للحجَّة السابقة، بتقسيمها الكلّ إلى أجزائه، وبناء عليه لا يتحقق الاقتناع إلا بعد النظر في الجزئيات التي تحملها .الحجَّة أو الإثبات.وهذا هو القيد الرئيس في توظيفها داخل الحجاج،بأن يكون تعداد الأجزاء شاملا وكاملا،لكي يضمن نجاعتها ونجاحها.

ب - الحجج مؤسسة على بنية الواقع: تقوم هذه الحجج على علاقات مرتبطة بالواقع،ويمكن للمتأمّل أن يلحظها.

ج- الحجج مؤسسة لبنية الواقع : تستند هذه الحجج على مستويين: أولاها تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة،مثل الشاهد والمثال وكذا القدوة، فنجد المثال يؤتى به لأجل تأكيد فكرة أو قضية ما،أو دحض رأي مخالف،في حين أنّ الشاهد والقدرة يقترنان بممارسة سلطوية على المخاطب، تتجلى في الاستشهاد بآراء القوّاد والمقولات الدّينية وغيرها،بغرض توضيح فكرة أودفع السامع لتبنّي سلوك ما فتصبح بذلك وظيفة المثل برهانية بينما تكون مهمّة الشاهد توضّيحية[6].

والثاني: لساني تداولي يمثله ديكرو صاحب نظرية الحجاج في اللغة، وهو ما سنحاول الإفادة منها في الجانب التطبيقي.

4_1- **الحجاج في اللغة عند ديكرو:** (O.Ducrot)L'argumentation dans la langue

---

[1] - رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، ترجمة: عمر أوكان،إفريقيا الشرق، المغرب،1994، ص 53.

[2] - المرجع نفسه ، ص53.

[3] - المرجع نفسه، ص 53.

[4] _ Ch. Perelman ,L'empire Rhétorique,P79

[5] _ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص 47_48.

[6] _ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص131_132.

أرسى"ديكرو معالم نظرية الحجاج اللسانية؛ والتي تهتم بدراسة كل الوسائل اللغوية، وإمكانات اللغات الطبيعية التي تكون لدى المتكلم، وذلك من أجل توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الغايات الحجاجية[1]، وهي(نظرية الحجاج) تنطلق من فكرة مفادها: "**إنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير**"[2].

ولذلك تؤدي اللغة عند **ديكرو** وظيفة حجاجية انطلاقا من بنية أقوالها[3]، يقول: "إنّ التسلسلات الحجاجية الممكنة

في خطاب ما، ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها"[4].

وبناء عليه؛ فإنّ نظرية الحجاج في اللغة قد خرجت من رحم نظرية الأفعال اللغوية التي قدّمها **أوستين** و**سيرل** ضمن مجال الأفعال الكلامية (les actes de langage)، ثم قام **ديكرو** بتطوير آرائهما المتعلقة بالأفعال اللغوية فأضاف _كما ذكرنا _ فعلين آخرين هما: (1)- فعل الحجاج، (2) - فعل الاقتضاء[5]، ممّا يعني أنّ الحجاج في رأيه لغوي (لساني) [6] مرتبط بالفعل اللغوي، وليس بالمنطق غير الصوري. وبناء عليه، عرّف **ديكرو** الإنجاز (التلفّظ): "بأنّه فعل لغوي موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية؛ أي: مجموعة الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار"[7]، ومن ثمَّ تغدو القيمة الحجاجية لقول ما، نوعا من الإلزام المتعلق بالطريقة التي لابد للخطاب أن يسلكها بخصوص تناميه واستمراره، في حين تكون العلاقات القانونية (الواجبات/ والحقوق) محددة للمجال الخطابي؛ أي: بكيفية تموضع المتكلم والمخاطب (طرفي الخطاب) فيصبح الخطاب بذلك غاية لا وسيلة[8].

4_2- منطلقات الحجاج عند ديكرو:

يرتبط الحجاج في منظور ديكرو بتقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، أو إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب[9]؛ لأنّ: " المتكلم إذ يحاج إنّما يقدّم قولا أوّلا (ق1) أو مجموعة من الأقوال تقوده إلى الإذعان والتسليم

---

[1] - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010،ج1، ص56.

[2] - المرجع نفسه، ص55.

[3] - ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ص56.

[4]--O .Ducrot &Anscombre ,L'argumentation dans la langue ,Pierre Mardaga Editeurs Bruxelles, P7.

[5] O .Ducrot ،Dire et ne pas dire,hermann،édicteur des sciences et des arts,Paris,3éd,1991P introduction ,285.

[6] - يقول ديكرو: "إن الأبحاث المتعلقة بهذا الأمر،وقد قمت بها صحبة جون كلود أنسكمبر وسميناها"، الحجاج في اللسان".أوزفالد ديكرو: السلالم الحجاجية، مطابع منتصف الليل، باريس،1980،ص7-12.نقلا عن: صابر الحباشة، تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطية، تونس، ط1، 2007، ص206.

[7]. - O .Ducrot,Dire et ne pas dire, P285-286.

[8] - ينظر: أبو بكر العزاوي ، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1،ص 57.

[9] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص57.

بقول آخر (ق2) أو مجموعة من الأقوال الأخرى"[1]؛ بمعنى أنّ: القول الأول الذي يصدر من المتكلم يمثّل حجّة وهو يقود إلى التسليم بنتيجة معينة أو محددة.

وهو ما يوضّحه **أبو بكر العزاوي** في تعريفه للحجاج بأنّه: "إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[2]، وبناء عليه تحمل اللغة سمّة حجاجية؛ لأنّ آليتها الخطابية مقترنة ببنية الأقوال التي تعدّ أساس التراكيب اللغوية وتؤدي أيضا دورا إقناعيا وتأثيريا بارزا، وتتجلى هذه البنية فيما يسمى بـ**الملفوظات** التي يجري توظيفها وتشغليها داخل الخطاب[3].

وبذلك يعنى الحجاج ببنية الأقوال اللغوية، وبتسلسلها وكيفية توظيفها ضمن الخطاب[4]؛ قصد تحقيق التأثير في المخاطب.

ويمكن التّمثيل لذلك بقولنا: (أنا مريض، إذن أنا في حاجة إلى الخلود للراحة)، (البحر هادئ، إذا السباحة مسموحة).

نلاحظ من المثالين أن المتكلم يقدم حجّة، وهي المرض الذي يستدعي الراحة (في المثال الأول)، وكذلك الأمر بالنسبة للمثال الثاني لما يكون البحر هادئا فهذا يقتضي السباحة فيه. وفي كلا المثالين يقدّم المتكلم حجّة لإقناع مخاطبه بنتيجة معينة[5].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحجاج لدى **ديكرو** مختلف عن الاستدلال، بكونه مرتبطا ببنية الخطاب من خلال ربط الحجّة بالنتيجة، والتي لا تخرج عن حيّز قوانين الخطاب ونظامه، خلافا للاستدلال الذي تدخل فيه اعتبارات أخرى قد تكون خارجة عن الخطاب مثل: قضايا الكون. ولذا فالحجاج ــ في تصوّر **ديكرو** ــ هو علاقة بين عملين لغويين، وليس بين قضيتين. وهذا ما يجعله (الحجاج) مختلفا عن الاستدلال[6] .

ولذلك كانت غاية الحجاج ــ**عنده**ــ فهي: "بيان ما يقتضيه القول من قوّة حجاجية تمثّل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجية ما"[7].

3-4_أهم مفاهيم نظرية الحجاج:

من أهم مفاهيم نظرية الحجاج : السلالم الحجاجية، الاتجاه الحجاجي، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية، المواضع.

---

[1]._ Ducrot& Anscombre, L'argumentation dans la langue,P8

[2] ــ أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج1، ص57.

[3] - يقول **ديكرو**: "أما النظرية فتتعلق بالطريقة التي بها نستطيع استعمال ملفوظ في خطاب حجاجي". أوزفالد ديكرو، السلالم الحجاجية ، ترجمة صابر الحباشة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته،ج5، ص72.

[4] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص57.

[5] - ينظر: أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، الأحمدية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص29.

[6] - شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص362_363

[7] - المرجع نفسه، ص352.

تحدث ديكرو -في سياق عرض لنظريته- عن مفاهيم الحجّة[1]، التي تمثّل عنصرا دلاليا يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، قد يرد في شكل قول أو نص أو مشهد طبيعي أو سلوك غير لفظي كما تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق[2].

وتتميز هذه الحجج اللغوية بجملة من الخصائص منها[3]:

(أ) - أنّها سياقية: يقدم المتكلم حجّة قد تؤدي إلى حجّة أخرى، وذلك بحسب السّياق الذي يمنحها صبغة حجاجيّة، مما يعني أنّ له دورا فاعلا في الحجاج[4].

(ب) -أنّها نسبية: إذ تحمل كلّ حجّة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجّة ما يدافع بها عن قضية معينة، لكن في المقابل يستدل الخصم بحجّة أقوى، تكون مناقضة ومضادة لها تكون أكثر قوة
منها، أي إنّ هناك حججا قوية وأخرى ضعيفة، وهي تترتب بحسب درجتها[5].

(ج)- قابلة للإبطال: يمكن للحجّة أن ترفض أو تنقض، بواسطة حجّة أخرى أقوى منها[6].

فالحجة إذا تتصف بالنسبية والمرونة، كما أنّ لها طابعا تدرجيا وسياقيا، بالإضافة إلى قابليتها للإبطال، وترتّب هذه الحجة بحسب قوّتها وضعفها في سلم يسمى **السلم الحجاجيّ**[7].

4_3_1_ **السلالم الحجاجية** Les échelles argumentatives :

يعرّف **أبوبكر العزاوي** السلم بأنّه: "علاقة ترتيبيّة للحجج"[8]، ثم يوضح ذلك بالمبيان الآتي[9]:

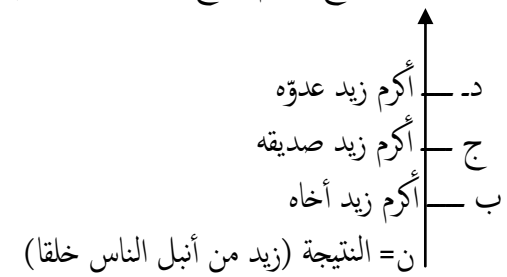

نلاحظ أنّ؛ (د) و (ج) و(ب) حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

[1] - صابر الحباشة، تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص204
[2] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص58.
[3] - المرجع نفسه، ص59.
[4] - المرجع نفسه، ص59.
[5] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص59.
[6] - المرجع نفسه، ص59.
[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص60.
[8] - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص59.
[9] - ينظر: المرجع نفسه،ج1، ص59. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

فنجد في هذا المثال أنّ الأقوال (د) و(ج) و(ب) أو الحجج تستلزم نتيجة واحدة هي: (زيد من أنبل الناس خلقا)، لذلك تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة (مجموعة تدليليّة) مرتبطة بهذه النتيجة، وتجمعها علاقة ترتيبية ضمن سلم حجاجي واحد[1]، ولهذا يعرّف السّلّم بأنّه "فئة حجاجية موجهة"[2]، ويقوم على شرطين هما[3]:

أ-كلّ قول يرد في درجة ما من السّلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة.

ب- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن)، فهذا يستلزم أنّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إلى النتيجة نفسها، والعكس غير صحيح .

ويمكن توضيح الشرطين بمثال[4]، تقول:

_ حصل **محمد** على الدكتوراه

_ حصل **محمد** الماستر

_ حصل **محمد** على الليسانس.

هذه الجمل الثلاث تتضمن حججا تنتمي إلى سلم واحد، وهي تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل "كفاءة محمد العلمية "، فنلحظ أنّ القول الأوّل يقع في أعلى درجات السلم بعدّه أقوى الحجج في تدليله على منزلة "**محمد العلمية**"[5]. ويمكن بيان ذلك من خلال هذا الرسم:

(ن= الكفاء العلمية)

ح3 ← درجة الدكتوراه

ح2 ← درجة الماستر

ح1 ← درجة الليسانس

وبناء عليه، تعتمد نظرية السلالم الحجاجية على وجود "التّلازم في عمل المحاجّة بين القول الحجّة (ق) ونتيجة (ن)، ومعنى التّلازم هنا هو: أن الحجّة لا تكون حجّة بالنسبة للمتكلم إلاّ بإضافتها إلى النتيجة، قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية"[6]

وإجمالا نقول: إنّ السلم الحجاجي مجموعة غير فارغة من الأقوال، تكون مزوّدة بعلاقة تراتبيّة وتحكمه مجموعة من القوانين الداخلية[7] التي سنتحدث عنها:

1_ قوانين السلم الحجاجي:

تنحصر قوانين السلم في ثلاثة قوانين، نوردها على النحو الآتي:

---

[1] - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص59

[2] - المرجع نفسه، ص60.

[3] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص60. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

[4] - ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص60.

[5] - المرجع نفسه، ص 60.

[6] - شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة منوبة، تونس، 1998، ص363.

[7] - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

أ- **قانون النفي** (Loi de Négation): ومفاده إذا كان قول ما (أ) مستخدما من طرف المتكلم ما، ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه (لا_ أ) يصبح حجة لنتيجة مضادة[1]، مثال: محمد مجتهد، فقد نجح. - محمد ليس مجتهدا، إنّه لم ينجح.
فإذا جعلنا (أ) ينتمي إلى النتيجة (ن) في المثال الأول، فإنّ المثال الثاني (لا_ أ) ينتمي إلى النتيجة المضادة (لا..ن)[2].

ب- **قانون القلب** :(Loi d'inversion) يرتبط هذا القانون بالنفي، ويعدّ مكملا له، ومقتضاه أنّ السلّم الحجاجي للأقوال المنفية يكون عكس سلم الأقوال الإثباتية، أي إنّه عندما تغدو إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في قوّتها الحجاجية لدلالة على نتيجة معينة، يصبح نقيض الحجّة الثانية أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التدليل على نتيجة مضادّة[3]، مثال ذلك:

- زيد يحترم والديه، وحتى جيرانه.
- لا يحترم زيد جيرانه، بل ووالديه.

	(ن)	(لا_ن)
ح1	يحترم والديه	لا يحترم والديه
ح2	يحترم جيرا	لا يحترم جيرانه

ج- **قانون الخفض**(Loi d'abaissement) **:** وينص قانون الخفض على أنّ القول إذا صدق "في مراتب معينة من السلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[4]، مثال: - الجو ليس بارد، لم يحضر كثير من الأصدقاء
فيجري في المثالين استبعاد بعض التأويلات من قبيل أنَّ البرد قارس وشديد البرودة، أو أنّ الأصدقاء كلّهم حضروا، ثم

تؤوّل الجملتان على النحو الآتي:[5]
- إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار

- لم يحضر إلاّ القليل من الأصدقاء إلى الحفل.

وهنا نشير إلى صعوبة ترتيب هذه الأقوال التي تخضع لقانون الخفض الناتج عن النفي في سلم حجاجي واحد، وذلك لأنها لا تنتمي للفئة الحجاجية نفسها، ومن ثمّ لا تكون في سلمية تدرّجية.

فيتحتّم الرجوع إلى القاعدة السابقة التي أوردناها في بداية الكلام عن الخفض[6].

وخلاصة القول: لقد ركز **ديكرو** في هذه القوانين الخطابية على النفي الوصفي اللغوي لا المنطقي الجدلي، المقترن ببنية اللغة (بعدّه ظاهرة تركيبة دلالية) موضّحا أهمّ قوانينه التي تنعكس على الحجاج اللغوي من خلال السلم الحجاجي[7].

---

[1] - O.Ducrot, Les échelles argumentation,P27. نقلا عن أبي بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي التحاجج ضمن كتاب (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص60.

[2] - أبوبكر العزاوي، الحجاج في اللغة،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 61.

[3] - المرجع نفسه، ص61.

[4] - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277 .

[5] - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي التحاجج ضمن كتاب (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص62.

[6] - ينظر: المرجع السابق، ص62

[7] - شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص368.

وبناء عليه تبرز أهمية نظرية السلالم الحجاجية في كونها تسهم في "إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز المحتوى الخبري للقول"[1]، ممّا يعني أنّ القيمة الحجاجية للقول مرتبطة بالتنظيم الداخلي للغة، وليست بمعيار الصدق أو الكذب[2]. وننبه هنا كذلك إلى أنّ السلم الحجاجي مقترن بمحدد لوجهته هو الاتجاه الحجاجي.

4_3_2 – التوجيه أو الاتجاه الحجاجي (Orientation Argumentative) **:**

يرتبط بمفهوم السلم مفهوم آخر هو الاتجاه الحجاجي الذي يحدد مسار الحجاج[3]، فإذا كان قول ما يمكّن من إنشاء فعل حجاجي، فإنّ قيمته الحجاجية تحدّد بواسطة الاتجاه الحجاجي (هذا الأخير يكون صريحا أو مضمرا)، ولذلك إذا كان القول معيّنا ومشتملا على روابط وعوامل حجاجية، فإنّ هذه الأدوات والروابط تكون حاملة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تمثّل الطريقة التي يوجّه بها القول أو الخطاب، أمّا إذا كان القول غير معيّن، فإنّ التعليمات تكون محدّدة للاتجاه الحجاجي الذي يستنتج من الألفاظ والمفردات، وكذا من السياق التداولي والخطاب العام[4].

وبناء عليه، تعمل الروابط والعوامل الحجاجية على تقوية درجة التوجيه في الخطاب إلى نتيجة ما، من خلال وجود **صرافم** معينة[5]، وهو ما يؤكده **ديكرو** بقوله: "إنّ وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يعطيها توجيها حجاجيا ... للوصول إلى نتيجة محدّدة دون غيرها"[6]. وعلى هذا الأساس سنحاول الحديث عنها بإيجاز.

4_3_3-الروابط والعوامل الحجاجية*(Les Connecteurs et les Opérateurs Argumentatifs**):**

ذكرنا سابقا أنّ اللغة ذات طبيعة حجاجية تتجلى في بنيتها؛ حيث تتضمن أدوات وروابط حجاجية لا يمكن أن نعرف قيمتها الحجاجية إلا بالعودة إلى سياقاتها.

ولذلك يعدّ الحجاج فعلا لغويا مؤشّرا عليه بروابط وأدوات وعبارات، مهمتها الرئيسة توجيه الملفوظ وجهة حجاجية[7].

من هذا المنطلق؛ برزت اهتمامات **ديكرو** بالروابط نظرا لما تؤديه من دور كبير في انسجام الخطاب، تقول **آن روبول**: "قد أدت أعمال **أوزوالد ديكرو** إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدلالة وفي التداولية أساسا"[8]، هذه الروابط تسهم في تسهيل عملية تأويل الخطاب*، أي: فهم الخطاب وكذا توجيه العمليات التأويلية، إذ "تقوم

---

[1] - المرجع نفسه، ص 370.

[2] - المرجع نفسه، ص370.

[3] - أبوبكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص62.

[4] - المرجع نفسه، ص62.

[5] - عزا لدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص32.

[6] _ O.Ducrot,Les mots du discours,éd,Minuit,1980,P27 نقلا عن: المرجع نفسه، ص 32 .

*- الفرق بين الروابط والعوامل يكمن في أن الروابط تربط بين حجتين وحدتين دلاليتين مثل العطف. أما العامل متعلق بالجملة مثل دخول إنما...

[7] - شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص376.

[8] - آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص169.

الروابط بدور مهم في عمليات فهم الخطاب ... بل تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية، ولا يمكن التأويل من دونها"[1]، فالروابط إذا تتعلق بالطبيعة الإجرائية والخطابية، وقد حددت وظيفتها في ثلاث وظائف[2]:

- ربط الوحدات اللسانية الكبرى أو الوحدات الخطابية.
- الكشف عن بنية الوحدات اللسانية وتناسقها (الكلمة، النص)
- الكشف عن نتائج الملفوظ التي بدونها لا يمكن الظفر بأي معنى أو غاية من الملفوظ.

وبناء عليه، تعمل الروابط على الربط بين قولين أو قضيتين أو حجتين بغية الوصول إلى نتيجة محدّدة[3]، ويمكن التّمثيل لذلك بقولنا: لن يصبك الافتقار، فما ثمن التذكرة إلا ثلاثون دينارا.

فنجد أنّ دخول رابط الحصر في الجملة التي استعملت حجّة، قد حدّ من احتمالاتها الحجاجية، ليوجّه الملفوظ نحو نتيجة إيجابية هي: "لن تفتقر"[4] .

وهنا نشير إلى أنّ الرّوابط متنوعة ومتعددة، فقد تكون إمّا روابط حجاجية تربط بين الأقوال ويكون بواسطة عناصر نحوية، من قبيل: الواو، الفاء ... أو مختلف حروف العطف ... وإمّا روابط استنتاجيه تلخيصية؛ مثل: (إذن، هكذا، وعليه)، أو روابط حجاجية مضادة؛ نحو: (لكن، رغم ذلك، غير أنّه...)[5] .

وإذا تأملنا اللغة العربية مثلا فإنّنا سنرى كثيرا من الروابط؛ مثل: لكن، بل، إذا، لاسيما، إذ، لأنّ، بما إنّ... مع ذلك، ربما ،تقريبا، إنّما ، ما ... إلا... إلخ[6].

وقد قدّم **ديكرو** وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات بعدّها بديلا للوصف التقليدي، مثال ذلك: كلمة **(حتى Même)** فدورها ليس مقتصرا على إضافة معلومة للقول، بل إدراج حجّة جديدة أقوى من المذكورة قبلها (بحيث تضفي قوة حجاجية في القول)[7]، يقول **ديكرو**: "لنأخذ ملفوظة: (كتب جاك فروضه حتّى إنّه تناول حساءه دون عبوس)، فإنّ وجود (حتّى) يعني أنّ الجملة الثانية هي أكثر إذهالا، وأكثر مفارقة من الجملة الأولى"[8]. أمّا العوامل الحجاجية فإنّها تختلف عن الروابط بكونها تضيّق وتقيّد الإمكانات الحجاجية التي نجدها في قول ما، وتوجّهه نحو نتيجة معينة (بمعنى الحدّ من تعدد النتائج)، فضلا عن كونه يرتقي بالملفوظ من الوظيفة الإبلاغية إلى الحجاجية[9]، فمثلا قولنا: إنّما زيد شاعر.

---

*- ومنه يعنى الحجاج بالمعنى من خلال تأويل الخطاب. جيل ديكلارك، التداولية و الحجاج (مقال)، ضمن كتاب تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص197.

[1] - آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص173.

[2] __ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 23.

[3] - أبوبكر العزاوي، الحجاج في اللغة،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص63.

[4] - شكري المبخوت، الحجاج في اللغة،ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص376

[5] -عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 22.

[6] - أبوبكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص63.

[7] - المرجع نفسه، ص 63.

[8] - أوزفالد ديكرو، نظرية الأفعال الكلامية من سوسور إلى فلسفة اللغة، ص155- 156.

[9] - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 35. و أبوبكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص63.

نلاحظ في هذا المثال (إنّما) التي تعدّ عاملا حجاجيا، وجّهت الملفوظ نحو نتيجة واحدة ألا وهي: حصر زيد في الشاعرية، وهذه النتيجة التي يريد المتكلم إيصالها للمتلقي الذي قد يتوهم أنّ زيدا كاتب. فلو حذفنا العامل (إنّما) لصار الكلام لمجرد الإبلاغ والإعلام فقط.

وإجمالا نقول: إنّ للروابط والعوامل دورا بارزا في الحجاج، وهو ما جعل كثيرا من الحجاجيين في مقدمتهم **ديكرو**، و**آن روبول** و**جاك موشلار** يهتمون بها ضمن كتبهم ويفردون لها مقالات، ذلك أنّها تعدّ ركنا من أركان نظرية الحجاج.

وبعد الحديث عن الروابط والعوامل الحجاجية، ننتقل إلى الحديث عن المواضع التي تمثّل عنصرا مهمّا في العملية الحجاجيّة والخطابيّة بصفة خاصّة.

4_3_4- **المواضع أو المبادئ الحجاجية** (Les topoi) :

لا يكفي وجود الروابط والعوامل الحجاجية لضمان سلامة العملية الحجاجية، بل لا بد من وجود قاعدة تضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذه القاعدة تعرف بالمواضع أو المبادئ الحجاجية[1]، وهي تمثّل قواعد عامّة تجعل الحجاج ممكنا، وتتميز بمجموعة من الخصائص[2]:

(1) - إنّها تشمل مجموع المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل المجموعة بشرية معينة.

(2) - العمومية: إذ تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة.

(3)- التدرّجية: تقيم علاقة بين محمولين تدرجين أو بين مسلمين حجاجيين (العمل/ النجاح).

(4)- النسبية: يمكن إبطال مبدإ حجاجي بالرجوع إلى السياق الذي يرد فيه.

ومنه نقول: تمثل **المواضع** و**المبادئ الحجاجية** مجموعة المسلمات والمعتقدات المشتركة بين الأفراد (التواضعية) لمجموعة لغوية بحيث يسلم الكل بصدقيتها وصحتها (لأنّها تعدّ معيار فشل أو نجاح العمل)[3]. ومن ثمّ فإنّ للمواضع أهمية كبرى في عملية الحجاج؛ إذ من خلالها يتحقق الانسجام بين المتخاطبين، ويصل المحجاج عن طريقها إلى مبتغاه، فضلا عن كونها تضمن سلامة الحجاج وتنسيقه[4]، ولذلك اهتم بها كثيرا **أرسطو** و **بيرلمان**، و **ديكرو** و **أنسكومبر** وغيرهم.

وخلاصة القول: إنّ نظرية الحجاج في اللغة التي أرسى معالمها **ديكرو** وزميله، قد اتّخذت الخطاب واللغة منطلقا وغاية؛ بغية الكشف عن بنيتها الحجاجية، وذلك انطلاقا من التركيز على بعدها التداولي الذي يشكّل فيه الفعل اللغوي مجالا للحجاج.

وهكذا يعدّ الحجاج عند **ديكرو** لسانيا، إذ إنّه ينطلق من البنية الداخلية للغة أو الخطاب وبالتحديد من التلفظ الذي سبق بحثه مع **أوستين** و**سيرل**[5].

بعد عرض هذه المفاهيم نأتي إلى تقديم نماذج تطبيقية.

5_ نماذج تحليلية من صحيح البخاري:

---

[1] - أبوبكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص64.

[2] - المرجع نفسه، ص66.

[3] - المرجع نفسه، ص67.

[4] _ ينظر: شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص380.

[5]- O .Ducrot ،Dire et ne pas dire،P2-3-4.

أ_ الاستدلال العقلي في الحديث النبوي:

1_ القياس التام : يرتكز على وجود مقدمات ووجود نتيجة تستلزم عنها بالضرورة، ومن أمثلته في الحديث النبوي نذكر:

_ حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير، قال :حدثنا سفيان، قال :حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال :أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي، يقول :سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[1].

استهل البخاري جامعه الصحيح بهذا الحديث العظيم الذي تضمن معيار قبول الأعمال عند الله ألا وهو صلاح النية؛ فميزان قبول الأعمال هو إخلاص النية و صدق القصد لله تعالى؛ وفق ذلك يكون الجزاء .

ولهذا قرر الرسول الكريم في هذا الحديث عن طريق حجة عقلية قائمة على القياس ألا وهي ؛ أن أساس قبول الأعمال (القلبية، النطقية، الجوارح) مرتبط بصلاح النية وإخلاصها؛و هذا لتمييز العادات عن العبادات، وذلك على النحو الآتي:

مقدمة كبرى: (إنّما الأعمال بالنيات)؛ أي: صلاح العمل وفساده مرهون بالنية.

المقدمة صغرى: (وإنّما لكلّ امرئ ما نوى)؛ أي: نوى شيئا أو عملا يحصل له أو يتحقق بحسب نيته وقصده.

النتيجة المستلزمة عناهما: وجوب تمحيص النية وإخلاصها في كل عمل.

كما نجد في الحديث من الناحية البلاغية الحجاجية العامل الحجاجي الذي وجه دلالة الحديث المتمثل في أداة الحصر (إنمّا)؛ حيث حصر قبول الأعمال في النيات؛ وفيه إثبات للمحصور ونفي عما سواه؛ كما نلحظ في نهاية الحديث من الناحية البلاغية تحقيرا للأعمال التي تكون النية فيها طلب دنيا أو متاع زائل، بقوله (فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه) .

_ حدثنا علي بن عياش، حدثنا أبو غسان، قال :حدثني محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"[2].

[1] _البخاري،الجامع الصحيح(صحيح البخاري)، تشرف بخدمته والعناية به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1422ه، ج1، ص 6.

[2] **_ المصدر نفسه، ج8، ص 11.**

هذا الحديث وجيز اللفظ كثير المعنى؛ انطلق الرسول الكريم من مقدمة كبرى هي: أنّ كل معروف صدقة، ومقدمة صغرى صناعة المعروف(الطاعات) بكل أشكاله صغير أو كبير، وتستخلص نتيجة تلزم عنها: أنّ صناعة المعروف مهما كان مقداره يكون فيه أجر.

ــ ومن الأحاديث النبوية المتضمنة للقياس التام : حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال :"إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يكون صِدِّيقًا، وإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتب عند الله كذابا"[1].

يرغب الرسول الكريم ويحث على التزام خلق الصدق؛ثم بين فضله عن طريق حجة عقلية منطلقا من مقدمة كبرى (الصدق يهدي إلى البر) ومقدمة صغرى(البر يهدي إلى الجنة)، ونتيجة تلزم عنها ألا وهي : أن الصادق مآله الجنة.

وفي سياق الحديث الترغيب في خلق الصدق نجد توظيفا لآليات لغوية صرفية حجاجية منها: صيغ المبالغة الواردة في لفظ(صديقا)،(كذابا) والغاية الحجاجية من ذلك الترغيب في ملازمة الصدق أو التحذير من الكذب.

2ــ القياس الإضماري:

ومن أمثلته في الحديث النبوي :

ــ حدثني يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، قال :حدثني عوف، عن خلاس، ومحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ"[2].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم حكما شرعيا متعلقا بعبادة الصوم؛ وذلك حال أكل الصائم ناسيا؛ وذلك عن طريق القياس الإضماري الآتي: المقدمة الكبرى (مضمرة): أكل الصائم ناسيا لا يفسد الصوم.

المقدمة الصغرى (مذكورة): من أكل ناسيا، وهوصائم فليتم صومه.

النتيجة (مذكورة): لاحرج ولابأس على الناسي؛ فقد أطعمه الله وسقاه؛ لأنّ الناسي رفع عنه القلم؛ قال الرسول الكريم:" رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[3].

---

[1] **ــ المصدر نفسه، ج8، ص25.**

[2] ــ المصدر نفسه، ج 8، 136.

[3] ــ محمد ناصر الدين الألباني،إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل،إشراف: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ج8، ص194.

ـــ حدثنا آدم بن أبي إياس، قال :حدثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي السفر، وإسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ "[1].

يقرر النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة رئيسة في بيان صفات المسلم الكامل، ومنها عدم أذية إخوانه المسلمين بلسانه ويده، وكانت الحجة عقلية على صورة قياس مضمر، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة الكبرى (محذوفة): من صفات المسلم الكامل في إسلامه عدم أذية المسلمين بلسانه ويده (؛ أي: قوله (لا يكذب..)وفعله(لايسرق...)).

المقدمة الصغرى(مذكورة): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

والنتيجة (مضمرة): من صفات المسلم الكامل السلامة من لسانه ويده (كف الأذى عنهم سواء أكان بالقول أم الفعل).

3ـــ قياس الخلف: يراد به إثبات المطلوب أو الأمر بنفي نقيضه أو بطلانه[2]؛ وهو من الحجج البارزة في الحديث النبوي وتكون الغاية من توظيفه في الأحاديث : التحذير والنهي أو الإرشاد،أو الترغيب... ومن الشواهد الدالة على ذلك:

ـــحدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق، عن عبد الله (ابن مسعود) - رضي الله عنه- ، قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ «وَقُلْتُ أَنَا» :مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ"[3].

نلحظ أنّ في الحديث ترهيبا وتحذيرا من الشرك ومن عواقبه الوخيمة التي تنجم عنه؛ ولهذا استخدم الرسول الكريم أسلوب التخويف والوعيد في التحذير من الشرك؛ لأنّه يعد من أكبر الكبائر؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4].

فقد قاس عبد الله بن مسعود بناء على الحكم السابق حكما آخر هو نقيضه؛انتفاء الشرك ينجم عنه انتفاء دخول النار وانتفاء دخول النار يلزم عنه دخول الجنة؛ أي: انتفاء السبب ينتج عنه انتفاء المسبب.

نجد في الحديث الشريف ذكر المطلوب ألا وهو:" من مات يشرك بالله شيئا دخل النار"؛ ثم استنبط ابن مسعود بطريق القياس بالخلف نقيضه : " من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة".

---

[1] ـــ صحيح البخاري، ج1، ص11.

[2] ـــ ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص77.

[3] ـــ صحيح البخاري، ج2، ص71.

[4] ـــ سورة النساء الآية 48.

ـــ حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، قال :سمعت ابن الزبير، يخطب يقول :قال محمد صلى الله عليه وسلم:" مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لم يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ"[1].

يرشد -صلى الله عليه وسلم - إلى النهي عن لبس الرجال للحرير ؛ وقد أثبت المطلوب؛ بقوله: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ويستدل بواسطة القياس على نقيضه أو الخلف؛ أنّ من لم يلبس الحرير في الدنيا لبسه في الآخرة؛ وهذا ما يستنبط من سياق هذا الحديث الشريف.

4ـ الاستدلال بالتمثيل: يصنف ضمن الاستدلال غير المباشر؛ ويراد به: الاستدلال بحكم جزئي على جزئي آخر،[2]، وهو يعدّ من صور القياس؛ إذ يقوم على تشبيه أمر بأمر آخر في علة جامعة بينهما؛ وهذه العلة كافية لقياس أمر على آخر، ومن ثمة فهو يعتمد على أربعة أركان: المقيس عليه أو الممثل به (الأصل)، الفرع : المقيس أو الممثل(المشبه) ، العلة الجامعة (سبب التمثيل)، الحكم الذي يعمم على الفرع، ومن ثمة فهو أداة للبرهنة على فكرة أو تصور [3].

وهذا الاستدلال له تسميات منها: التمثيل عند المناطقة، و الاستدلال بالشاهد على الغائب عند المتكلمين، والقياس عند الفقهاء والأصوليين، وعند المحدثين هو من الحجج المؤسسة لبنية الواقع والتي تسمح بإقامة قاعدة عامة انطلاقا من حالة خاصة[4].

ويراد من هذا الاستدلال في الحديث النبوي تحقيق غايات عديدة منها: التبيين والتوضيح، الإرشاد والتوجيه، وتقريب المعاني وتحصيل الإقناع،

ومن الشواهد النبوية : حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابي فقال:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ : هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ : فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ : فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ "[5].

هذا الأعرابي ارتاب من لون ابنه الذي لا يشبهه و لا يشبه أمه، ووقع في نفسه شيء من الشك والريب؛ فكاد أن ينكره(الغلام) وينفيه؛ فيظلم بذلك امرأته ؛ أي: ظن أن هذا الابن ليس من صلبه وإنّما هو لغيره؛ هذا الموقف استدعى من الرسول الكريم توضيحا للأعرابي، ودفعا لتلك الشبهة التي ارتسمت في ذهنه؛ فمثّل له بمثل يراه؛ وهو مأخوذ من بيئته التي يعيش فيها؛ فضرب له مثلا بالإبل التي يعرفها ويعرف كيف تنتج وتتوالد؛ والتي قد تختلف في ألوانها، ومرد ذلك إلى عرقها أو أصول نسبها؛ فقد شبه أمرا مجهولا بأمر معلوم؛ إذ شبه الرسول الغلام الأسود الذي

---

[1] ـــ المصدر نفسه، ج7، ص150.

[2] ـــ ينظر: عوض الله جاد حجازي المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، دارالطباعة المحمدية، مصر،دت، ص 253.

[3] ـــ أمال بن موسى المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص 327.

[4] ـــ المرشد السليم، ص253. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 56.

[5] ـــ صحيح البخاري، ج8،ص 173.

يكون لأبويين أبيضين بنتاج الإبل التي فيها نزعة عرق؛ وفي هذا التمثيل قياس فرع على أصل؛ أي: مثل لما أنكره الأعرابي من لون غلامه بنتاج الإبل التي يكون فيها نزعة عرق؛ فلا غرابة إذا؛ لأن يكون للمرأة البيضاء غلام أسود بسبب نزعة العرق ؛ وفي هذا إثبات بالقياس والاعتبار بالأشباه، وضرب الأمثال؛ ولذلك شبه - صلى الله عليه وسلم - ولد هذا الرجل المخالف للونه، بولد الإبل، المخالف لألوانها، وذكر العلة الجامعة، وهي نزوع العرق[1]، فاقتنع الأعرابي وزال عنه ذلك الريب والشك؛ وفي هذا إفهام و إقناع وتعليم للأعرابي عن طريق الاستدلال بالتمثيل؛ وهو ما أكده ابن حجر بقوله:" وفي الحديث ضرب المثل وتشبيه المجهول بالمعلوم؛ تقريبا لفهم السائل، واستدل به لصحة العمل بالقياس، قال الخطابي :هو أصل في قياس الشبه، وقال بن العربي: فيه دليل على صحة القياس، والاعتبار بالنظير"[2] .

و يمكن بيان أركان التمثيل في الحديث على النحو الآتي:

ـ الممثل به (المقيس عليه): الإبل الحمراء يكون فيها الأورق.

ـ الممثل (المقيس): الغلام الأسود لأبوين أبيضين.

ـ العلة الجامعة بينهما: نزوع العرق؛ فالإبل قد ينزعها عرق، كما أنّ الغلام قد يكون فيه نزعة عرق.

ـ الحكم: لا شبهة ولا ارتياب في مخالفة واختلاف لون الابن عن لون الوالدين؛ لاحتمال نزوع العرق، كما أنه لا ريب في اختلاف ألوان الإبل بسبب نزوع العرق؛ ومن ثمة فإنّ الولد يلحق الزوج حتى وإن خالف لونه لونه(الوالد)[3] ؛ وفي هذا صون للعرض وحفظ للنسل.

ومن الشواهد التمثلية الواردة في الصحيح:

ـقول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ :فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا[4]﴾ "[5]

بيّن النبي الكريم أن كل مولود يولد على فطرة السليمة ألا وهي فطرة التوحيد والبراءة من الشرك؛ فيكون متهيئا للإسلام وقبول الهدى والحق؛ ثم يأتي دور أبويه والبيئة التي ينشأ ويتربى فيها؛ فإما أن يرسخا هذا الأصل، ويحافظا

---

[1] ـ ابن العطار ، العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط1 – 2006، ج3، ص136.

[2] ـ ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه محب الدين الخطيب علق عليه ابن باز، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1379، 1959، ج9، ص444.

[3] ـ ينظر: ابن العطار ، العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، ج3، ص136.

[4] ـ سورة الروم، الآية 30.

[5] ـ صحيح البخاري، ج2، ص94.

عليه[1]؛ وإمّا أن يغييراه ويشويهاه؛ فيتبع المولود دينها؛ ولتوضيح ذلك ضرب الرسول -صلى الله عليه وسلم- مثلا مأخوذ من بئية عربية يرى ويشاهد؛ ألا وهو تشبيه المولود بحال البهيمة التي تولد مجتمعة الخلقة؛ أي: كاملة سليمة؛ ثم لا يلبث أن يشوهها أهلها؛ فيجدعوها.

ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

ـــ الممثل به (المقيس عليه) : البهيمة التي تولد سليمة كاملة الأعضاء؛ ثم بعد ذلك يشوهها أهلها؛ فيجدعوها؛ ويغيرون خلقتها.

ـــ الممثل(المقيس): المولود الذي ولد على الفطرة السليمة؛ أي: فطرة الإسلام؛ ثمّ يغير أبواه تلك الفطرة من الهدى إلى الضلال .

ـــالعلة الجامعة:(تصرف الإنسان في الخلقة)؛ أو الخلقة السليمة التي تغير من السلامة والصلاح إلى الإنحراف والسوء .

الحكم: الفطرة السليمة كالخلقة السليمة صفة في كمال الإنسان والانحراف عنها وتغيرها فيها نقص، كحال جذع عضو من أعضاء البهيمة الذي يشوهها فيغير صورتها الكاملة؛ ومن ثمة فإذا كان جذع البهيمة فيه نقص؛ فإنّ تغيير الفطرة السليمة تهويدا وتنصيرا وتمجيسا فيه نقص للإنسان[2].

5ـــ الاستدلال بتقسيم الكل إلى أجزائه: يندرج ضمن الحجج شبه منطقيه عند بيرلمان؛ وتسمى حجة التقسيم؛ ويراد منه: إبراز المجموع المتضمن للأجزاء؛ أي: تقوية حضور الأشياء[3]، ويراد من هذا الاستدلال: بيان أن الحكم المستفاد من كلّ جزء ينطق على الكل؛فيكون كلّ جزء بمثابة الدليل على القضية المقصودة[4].

ومن نماذجه في الحديث النبوي:

ـــحدثنا عبيد الله بن موسى، قال :أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"[5].

صدر الحديث بحكم عام مجمل يفيد بيان أركان التي ينبني عليها الإسلام؛ ثم فصل في ذكر الأركان عن طريق التقسيم؛ معمما الحكم على كل ركن ؛ والذي يمثل أحد ركائز بنيان الإسلام؛ بحيث إذا سقط منه ركن انهد هذا البناء.

---

[1] ـــ ينظر: محمدأنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، فيض الباري على صحيح البخاري،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج3، ص 68ـــ 70.

[2] ـــ ينظر: أمال بن موسى المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص 331.

[3] ـــ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 48

[4] ـــ ينظر :أمال بن موسى المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص 335.

[5] ـــ صحيح البخاري، ج1، ص11.

جاء الاستدلال بالتقسيم في هذا الحديث ؛ بغرض استدعاء الحكم عند ذكر كلّ قسم؛ والذي يرجع إلى الحكم الأول؛ وفي ذلك دلالة على أهمية تلك الأركان التي تمثل أساس الدين.

_ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[1].

ذكر الحديث حكما عاما مجملا؛ ثم فصل في حالات وأصناف المستحقين للشهادة ؛ والتي عمم عليها الحكم عن طريق التقسيم؛ وتلك الأقسام ترجع إلى الحكم الأول؛ ولهذا جرى استخدام حجة التقسيم في الحديث لغرض حجاجي يتمثل في: بيان شمولية حصول الشهادة لعدد من الأصناف[2]؛ وفي ذلك دعوة إلى الصبر والاحتساب لنيل الأجر العظيم في الآخرة.

6- سمات الاستدلال العقلي في الحديث النبوي: نذكر منها:[3]

_ أنه استدلال لا يستجيب للمقاييس المنطق بقدر ما هو استدلال يستجيب لأهداف التواصل، والتدوال، والتفاعل الاجتماعي.

_ استدلال ثري؛ من حيث؛ مادته؛ وآلياته؛ ومتغير بحسب وظيفته ومقامه.

_ استدلال يجمع بين الإقناع العقلي؛ والتأثير الوجداني(فيه الحجة المقنعة، والبلاغة الآسرة التي تحرك المشاعر والأحاسيس)

_ أنه لايقوم على الجدل، وإنما يخاطب الفطرة السليمة، والعقول السوية.

_ المقدمات الاستدلالية ليست عقلية صرفة، وإنّما هي واقعية ومشاهدة مستمدة من الحواس.

_ استدلالات سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد الفلسفي؛ وهي شاملة لجميع مناحي الحياة.

_ استدلالات تراعي الكفاية الإدراكية للمتلقي، ومقتضيات المقام.

بعد الحديث عن الاستدلال العقلي في الحديث النبوي ننتقل إلى بيان الآليات الحجاجية التي وظفت في البيان النبوي منها: الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية،الآليات البلاغية(التشبيه، الاستعارة...)

1_ الروابط الحجاجية في الحديث النبوي:

---

[1] _ صحيح البخاري، ج1، ص132.

[2] _ ينظر: النووي، شرح رياض الصالحين، شرح: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر،ط1، 2002، ج3، ص 309_310.

[3] _ أمال بن موسى المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص340.

تضمنت الأحاديث النبوية روابط حجاجية وعوامل حجاجية تسهم في انسجام النص وتوجيه دلالة الملفوظ نحو المعنى المقصود؛ ومن الروابط نذكر:

1_1_ الرابط الحجاجي (الواو):

يؤدي الرابط الحجاجي الواو دورا حجاجيا؛ يتمثل في وصل الحجج بعضها ببعض مع ترتيبها حجاجيا؛بحيث تزيد كلّ حجّة في قوة الحجة الأخرى؛ ومن الشواهد النبوية نورد:

_ حدثنا عمرو بن عباس، قال :حدثنا ابن المهدي، قال :حدثنا منصور بن سعد، عن ميمون بن سياه، عن أنس بن مالك، قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"[1].

نلحظ أن الرابط الحجاجي ربط بين ثلاث حجج متواليات ومتسلسلة؛ وهي: 1_من صلى صلاتنا، 2_ و استقبل قبلتنا ، 3_ وأكل ذبيحتنا.

فمن صلى صلاة المسلمين (الصلوات الخمس) واستقبل قبلتهم التي هي شرط في صحة الصلاة؛ وأكل ذبيحتهم (المسلمين) فهو منهم؛ وهو في ذمة الله ورسوله؛ أي عهده وأمانه .

نشير إلى أن النبي جعل الصلاة علما على الإسلام ، وكما جعل استقبال القبلة شرطا لها؛ وفي ذلك تعظيم لشأنها، وفضل استقبالها؛ أما أكل ذبيحة المسلمين ؛ فلأنّ من الشواهد الدالة على حال المسلم أكل ذبيحة المسلمين، بخلاف الكثير من طوائف الكتابيين والوثنيين؛ الذين يتحرجون من أكل ذبائح الْمُسلمين[2].

ومن ثمة؛ فإنّ هذه الحجج خدمت النتيجة المذكورة في الحديث ألا وهي :" فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ"؛ له أمان الله ورسوله؛ وهو معصوم الدم والمال، ولذلك أورد الرسول الكريم هذه الحجج، وربط بينها برابط حجاجي (الواو)؛ وقد زاد ذلك في تقوية الحجة، وتوجيه دلالة الملفوظ نحو بيان حقيقة المسلم وحقوقه.

1_2_ الرابط الحجاجي(حتى) :

إنّ الحجج المربوطة بواسطة الرابط (حتى) تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة -حسب ديكرو- وهي تخدم نتيجة واحدة، كذلك نجد أن الحجة التي ترد بعد " حتى "؛ تعد الأقوى، ومن ثمة فإنّ القول المشتمل على الأداة " حتى " لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي[3].

ومن الشواهد النبوية نذكر :

_ حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثنا سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضي الله عنه، قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"[4].

---

[1] _ صحيح البخاري، ج1، ص87.

[2] _ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، دط،دت، ج4، ص125_126.

[3] _ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص73.

[4] _ صحيح البخاري، ج4، ص48.

نجد أن الرابط الحجاجي (حتى) ربط بين حجتين الأولى: أمرت أن أقاتل الناس (عبدة الأوثان)، والثانية : حتى يقولوا لا إله إلاّ الله[1]، والحجة الثانية الواردة بعد الرابط أقوى لا تقبل التعارض الحجاجي أو الإبطال؛ وهي تخدم نتيجة ضمنية أمر الرسول بقتال الكفار حتى ينطقوا بالشهادة؛ فإن فعلوا وأسلموا؛عصموا منه دمائهم؛ وانتفى قتالهم.

ـــ جاء في باب الكيل على البائع والمعطي ما يلي: قال النبي صلى الله عليه وسلم :" اكْتَالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا"[2].

أدى الرابط الحجاجي (حتى)دورا حجاجيا يتمثل في الجمع بين الحجة والنتيجة هذا من جهة؛ فالحجة تكمن في أن على المعطي الاكتيال إلى غاية الاستيفاء، وبلوغ الوزن المطلوب، ولا يطفف الكيل، أو لا يخسر الميزان؛ ومن جهة أخرى إنّ الرابط (حتى) الوارد بعد الحجة قد زاد في تقوية النتيجة وتأكيدها؛وهي وجوب الكيل إلى حد الاستيفاء عند البيع والشراء؛ لأنّ ذلك مما يحفظ حقوق الناس، ويبعد الخصومة والشحناء وسوء الظن، كما أنه يجلب البركة؛ قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم:" كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ"[3]؛ كما توعد الله –سبحانه-المطففين بعذاب أليم؛ قال تعالى :" وَيْلٌ لِلْمُطَفِفِينَ"[4].

وهكذا؛ فإن الرابط الحجاجي يؤدي دورا حجاجيا؛ يجمع فيه بين الحجج السابقة واللاحقة، والتي تخدم نتيجة واحدة، أو لها توجيه حجاجي نفسه.

2ـــ العوامل الحجاجية في الحديث النبوي:

ذكرنا أن العوامل تسهم في توجيه الخطاب ومقاصده نحو وجهة حجاجية يريدها المتكلم؛ وذلك بغرض إقناع المخاطب بنتيجة معينة؛ ولهذا فهي تسهم في تقيد وحصر الإمكانات الحجاجية لقول ما[5].

ومن العوامل الواردة في الحديث النبوي:

2ـــ1ـــ العامل الحجاجي (لا..إلا):

ـــ حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لاَ تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلاَ تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا الوَرِقَ بِالوَرِقِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلاَ تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ"[6].

---

[1] ـــ بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج8، ص245.
[2] ـــ صحيح البخاري، ج 3، ص67.
[3] ـــ صحيح البخاري، ج 3، ص67.
[4] ـــ سورة المطففين، الآية 1.
[5] ـــ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.
[6] ـــ صحيح االبخاري، ج 3،ص74.

ورد في الحديث حجيتن: ح1: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلاّ مثلا بمثل، ح2: لا تبيعوا الوَرِق (الفضة) بالورق إلاّ مثلا بمثل.

وقد استعمل الرسول الكريم أداة الحصر (لا ... إلا) لتوجيه الحجتين نحو الاتجاه نفسه؛ أي: بيعوا الذهب بالذهب مثلا بمثل، وبيعوا الورق بالورق مثلا بمثل، وهما تخدمان نتيجة واحدة؛ ألا وهي البيع الذي يكون بواسطة المثل، والتساوي في حال اتحاد الجنسين دون زيادة أو نقصان (أو إشفاف)[1].

والقيمة الحجاجية للعامل (لا ... إلا) تتمثل في : حصر البيع في المثل والسواء- حال اتفاق الجنسين وتساويهما- ؛ وهذا لتجنب الربا إمّا بالزيادة أو النقصان؛ وفي ذلك توجيه وبيان للمسلم بكيفية إجراء معاملة البيع وشروطه.

2_2_ العامل (إنّما):

_حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة :أن أسامة كلم النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة:" إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُقِيمُونَ الحَدَّ عَلَى الوَضِيعِ وَيَتْرُكُونَ الشَّرِيفَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[2].

يوجه النبي الكريم في هذا الحديث قومه إلى ضرورة إقامة الحدود على الوضيع والشريف على حد سواء؛أي: بالعدل والمساواة بعيدا عن الظلم ؛ مذكرا إياهم بعاقبة هلاك الأقوام من قبلهم؛ إذ كانوا لايعدلون ولا يقيمون الحدود بقدر المساواة، وقد استعمل الرسول -صلى الله عليه وسلم- العامل(إنّما) لإفادة الحصر؛ أي: حصر الهلاك السابقين في إقامة الحد على الوضيع(الحقير أو الضعيف الذي لا يبالى به) وترك الشريف (المحترم الوجيه في قومه)[3].

وعليه؛ فإن توظيف عامل (إنما) في هذا الحديث أدى إلى توجيه الحجاج نحو نتيجة معينة؛ ألا وهي هلاك السابقين بتضيع الحدود، وعدم المساوة في إقامتها؛ وفي ذلك بيان لقيمة إقامة الحدود في حياة الناس؛ من حيث نشر العدل والمساواة بين الناس، والحفاظ على حقوقهم.

2_3_ العامل (لا):

_ حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ

[1] _ ينظر: بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج11، ص 295.
[2] _ صحيح االبخاري ، ج 8، ص160.
[3] _ ينظر: بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري،ج23، ص276.

كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"[1].

أسهم العامل الحجاجي (لا) في الحديث بتوجيه الحجاج نحو نتيجة معينة؛ وهي: أنه لا يجوز للمسلم أن يظلم أخاه المسلم، ولا أن يسلمه (يخذله)؛ وهذا من الوجبات الأخوة في الدين والعقيدة؛ قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[2] ، ومن ثمة ؛ فعلى المسلم أن يحمي أخاه المسلم[3]؛ فإن لحق منه شيء من (الظلم)فهو ليس بالمسلم والأخ الحقيقي.

من العوامل الحجاجية التي توجيه دلالة الملفوظ نحو نتيجة معينة نأتي إلى الحديث عن السلم الحجاجي:

3_ السلم الحجاجي في الحديث النبوي:

ترتب الحجج في السلم الحجاجي ؛ ليتبين قوتها وضعفها؛ وفيما بيان ذلك من الحديث النبوي:

حدثنا عمرو بن عباس، قال :حدثنا ابن المهدي، قال :حدثنا منصور بن سعد، عن ميمون بن سياه، عن أنس بن مالك، قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"[4].
في الحديث ثلاثة حجج: ح1: من صلى صلاتنا، ح2: استقبل قبلتنا، ح3: أكل ذبيحتنا.
بدأ بالحجة الأضعف وصولا إلى الحجة الأقوى؛ ويمكن تمثيل ذلك بواسطة السلم الحجاجي:

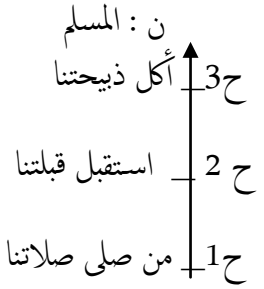

وردت الحجة الأولى في أسفل السلم؛ لأنّ هناك حجة أقوى منها؛ إذ إنّ الصلاة يقوم بها أي شخص كان؛ تليها حجة أقوى منها (استقبل قبلتنا)؛ لأنه ذكر فيها شرط أساسي في الصلاة ألا وهو استقبال القبلة التي تبين اتجاه هذه الصلاة وأنها صلاة خاصة (وفي ذلك تعظيم لشأنها)، تليها حجة أقوى منها؛ ألا وهي أكل ذبيحة المسلمين، ولا يكون ذلك الأكل إلا خاصا بالمسلمين فحسب؛ من ثمة فإن المسلم الحقيقي الذي له ذمة وعهد وأمان عند الله ورسوله؛ هو من صلى صلاتنا مستقبلا قبلتنا و آكلا من ذبيحتنا .

[1] _ صحيح االبخاري، ج 3، ص128.
[2] _ سورة الحجرات، الآية 10.
[3] _ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 24،ص 107.
[4] _ صحيح البخاري، ج1، ص87.

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بَيْعُ الْمُسْلِمِ، لاَ دَاءَ وَلاَ خِبْثَةَ وَلاَ غَائِلَةَ"[1].

وترتيب الحجج في السلم يكون على النحو الآتي:

ن البيع الصحيح؛ الذي يكون المبيع سالما من العيوب[2].

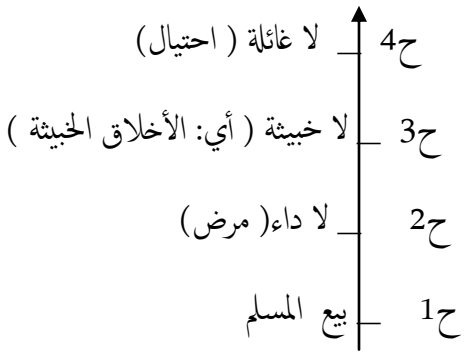

ورد في أعلى السلم البيع الصحيح الذي يكون فيه المبيع سالما من العيوب(وهو ركن أساسي من أركان البيع)؛ ومن شروطه: ألا يكون فيه مرض أو آفة تنقص منه؛ ألا يكون فيه ضرر وهلاك مال المشتري، وألا أن يكون المبيع من كسب غير مشروع كالاحتيال ونحوه، ومن ثمة؛ فإن البيع الصحيح هو الذي يكون فيه المبيع سالما من العيوب.

وفي سياق حديثنا عن البيع؛ نستحضر حديث رسول الله: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ"[3]

ويمكن تمثيل ذلك عن طريق السلم الحجاجي:

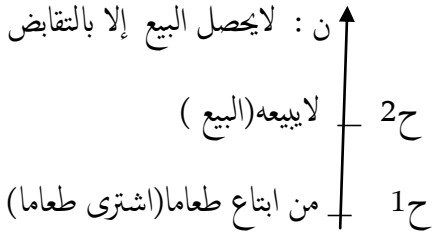

نلحظ أن الحجة الأولى (ابتاع طعاما)؛ وردت في أسفل السلم في حين جاءت حجة القبض في أعلى السلم؛ وهي الحجة الأقوى؛ لأنّ من شروط عقد البيع وحصوله التقابض بين الطرفين؛ حتى لا يقع نزاع أو خصوبة أو بطلان لهذا البيع رأسا.

من الشواهد النبوية نذكر حديث الجار:

[1] ـ المصدر نفسه، ج9، ص28.
[2] ـ ينظر: بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج11، 192-193.
[3] ـ صحيح البخاري، ج 3، ص 68.

_ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"[1] وقال :" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ"[2] ، وقال:" من كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ"[3].

يمكن توضيح ذلك من خلال السلم الحجاجي الآتي:

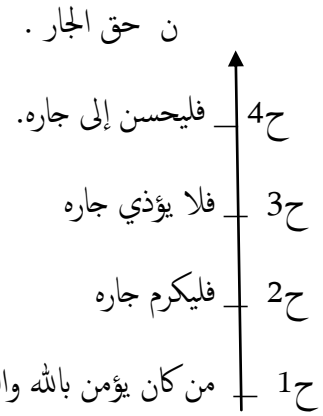

وردت الحجة الأولى في أسفل السلم؛ وقد حددت صفات المؤمن بالله واليوم الآخر؛ ثم تلتها حجة أقوى متعلقة بأوّل صفة ألا وهي: إكرام الجار، ثم عدم أذيته؛ لتأتي بعدها حجة أقوى ألا وهي الإحسان إليه قولا وفعلا (بتجاوز إساءته)؛ وهو في أعلى مراتب الإيمان وأعلى السلم الحجاجي و أقوها؛ وهذه الحجج خدمت نتيجة رئيسة مضمونها أن: من موجبات الإيمان بالله واليوم الآخر؛ أداء حق جار فيكرم، ولا يؤذى، ويحسن إليه.

ومن السلم الحجاجي ننتقل إلى الأليات الحجاجية البلاغية في الحديث النبوي:

1_ آلية التشبيه: نجد في الحديث النبوي توظيفا للتشبيه في سياقات كثيرة وذلك لأجل البيان والتوضيح وتحقيق الإقناع من ذلك حديث فضل قارئ القرآن؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ :كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ :كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ :كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا"[4] .

بين النبي الكريم -في هذا الحديث- فضل قراءة القرآن، ومكانة قارئه عن طريق صور تشبيهية ؛ كان الغرض الحجاجي منها: هو ترغيب الناس في الإقبال على قراءة القرآن، والتدليل على منزلة قارئه.

المشبه	المشبه به	الأداة	وجه الشبه
الذي يقرأ القرآن	الأترجة	الكاف	طعم طيب وريح طيب

[1] _ المصدر نفسه، ج8، ص11.
[2] _ المصدر نفسه، ج8، ص11.
[3] _ البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ص56.
[4] _ المصدر نفسه، ج6، ص 190.

الذي لايقرأ القرآن	التمرة	الكاف	طعم طيب ولا ريح
الفاجر يقرأ القرآن	الريحان	كمثل	ريح طيب وطعم مر
الفاجر الذي لا يقرأ القرآن	الحنضلة	كمثل	طعم مر ولا ريح لها

حدد الرسول الكريم في هذا الحديث أصناف الناس في الإيمان و قراءة القرآن عن طريق آلية التشبيه؛ والذي تضمن صورا حسية (بصرية وذوقية وشمية)؛ جسدت أحوال الناس في قراءة القرآن : فخيارهم المؤمن الذي يقرأ القرآن فهو كالأترجة في طيب الطعم والرائحة، والأدنى منهم المؤمن الذي لايقرأ القرآن كالتمرة في طيب الطعم وليس لها ريح، والأدنى منه مرتبة الفاجر الذي يقرأ القرآن؛ فهو كالريحان في طيب الرائحة ومرارة المذاق، أمّا الفاجر الذي لايقرأ القرآن فهو كالحنضلة في مرارة الطعم وعدم وجود الرائحة.

سعى النبي- صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث إلى ترغيب المتلقي في قراءة القرآن بصورة حسية قريبة إلى ذهنه(المتلقي)؛ تحرك مشاعره وتثير خياله مأخوذة من بيئته؛ فتدفعه إلى الإقبال عليه(القرآن)؛ لنيل تلك الدرجة والمنزلة الرفيعة؛ ولهذا استخدم آلية التشبيه كحجة في هذا الحديث للحث على قراءة القرآن وتدبره.

2__ ألية الاستعارة:

نتلمس توظيفها في حديث " بني الإسلام على خمس"[1]؛ وهي عبارة عن استعارة مكنية ؛ حذف فيها المشبه به وهو البيت، ورمز له بشيء من لوازمه وهو (البناء)؛ وقد أراد الرسول الكريم بواسطة صورة المشابهة المتخيلة بين شيئين؛ أي: صورة الإسلام؛ وصورة البيت إثبات أهمية الإسلام، وبيان أركانه، وهذا عن طريق صورة محسوسة بصرية قريبة من ذهن المتلقي ؛ ومن ثمة فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- صوّر الإسلام بشيء محسوس يراه المتلقي؛ وذلك لتمكين وترسيخ حقيقة الإسلام، وبيان أركانه في عقله(المتلقي) ؛ ومن ثمة فقد أدت تلك الاستعارة دورا حجاجيا في الحديث النبوي يتمثل في تقريب المعقول، وإخراجه في صورة محسوسة قريبة من ذهن المتلقي.

3__ الكناية:

نلحظ استخدام الكناية كآلية حجاجية ذلك في حديث " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[2].

لم يحدد الرسول –صلى الله عليه وسلم- في نهاية الحديث نوع الهجرة؛ ولم يذكرها؛ وذلك تحقيرا لتلك الهجرة التي لا تكون لله ورسوله؛ وإنما لطلب متاع زائل؛ ولهذا كني عن ذلك بقوله: (فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) دون ذكر للدنيا؛ تهوينا وتحقيرا لشأنها؛ وهذا لبيان فضل إخلاص النية في الأعمال.

[1] _ صحيح البخاري، ج1، ص11.
[2] _ المصدر نفسه، ج1، ص 6.

4_ الأساليب الإنشائية في الحديث النبوي:

تنوعت الأساليب الإنشائية في الحديث النبوي؛ والتي تضمنت عدة أغراض حجاجية منها:

أ_ فعل الواجبات وترك النواهي من خلال الأمر والنهي:

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ"[1]، وقوله:" لايَبْتَاعُ المَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ"[2].

ب_ بيان مسائل الدين؛ وإقرارها في ذهن المخاطب عن طريق أسلوب الاستفهام:

قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ"[3] .

نلحظ في هذا الاستفهام حجاج توجيهي نحو معرفة حقائق الدين (نحو الإيمان)؛ والتي يجهلها المخاطب؛ ولهذا اعتمد الرسول الكريم على الاستفهام كآلية حجاجية؛ لإثارة فضول المخاطب، و لتعريفه بتعاليم الدين وأركانه.

5_ التقديم والتأخير في الحديث النبوي: تعددت صور التقديم والتأخير في الحديث؛ وكان الغرض ذلك لتحقيق أغراض ومقاصد حجاجية منها: إثبات المقدم، وأنه القضية المحورية، أو العناية والاهتمام، أو إزالة الوهم عن المخاطب...

أ_ تقديم المسند إليه على المسند؛ لإثبات أنه محور الاهتمام والقضية المحورية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[4]؛ فقدم المسند إليه في الحديث؛ لإفادة التأكيد على حسن الظن به(الله سبحانه) ؛أي: أنّ الله يعامل العبد بحسب ظنه به وتوقعه؛ إنّ ظن أنه يعفو عنه،ويغفر له، ويستجيب لدعاءه؛ ويجازيه الجزاء الحسن كان له ذلك، وإن ظن العقوبة والمؤاخذة كان له ذلك[5] ؛ فالموعود قد ينتابه شك أو ريب تجاه تحقق الوعد؛ فقدم المسند إليه هنا ؛ لإثبات تحقق ذلك الوعد (وتأكيده)، وإزالة ما قد يخالج المتلقي من ريب؛ وفي هذا دعوة للعبد إلى حسن الظن بربّه، ورجاء ثوابه (الله سبحانه)على ما قدم من طاعات و أعمال صالحة.

---

[1] _ المصدر نفسه، ج3، ص27.
[2] _ المصدر نفسه، ج3، ص72.
[3] _ صحيح البخاري ، ج1، ص20.
[4] _ المصدر نفسه، ج9، ص145.
[5] _ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج25، ص101.

ب_ تقديم المسند على المسندإليه؛ وذلك لإفادة الحصر:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"[1].

جاء التقديم في قوله (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)؛ لإثبات أنّ عمل كلّ امرئ مرهون بنيته؛ ولهذا أفاد التقديم الحصر، وأن معيار عمل المرء، وميزانه هو النية؛ فهي القضية الرئيسة في وزن الأعمال.

6_ الحذف :

يتيح الحذف من المنظور الحجة مجالا للمتلقي للتأويل الذي يمكنه من استنتاج الجحة والاقتناع بها ؛ كما أنه يعد نوعا من الإيجاز الذي يطلبه المتلقي[2]؛ والذي يضمن الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة؛ ولهذا يعدّ من أهم الوسائل التي اعتمدها الرسول الكريم في حديثه؛ لأجل الفهم والإفهام والحفظ؛ لأنّ كلامه ضم جوامع الكلم.

_ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ"[3]؛ حذف المفعول ليشمل كلّ مستحق للرحمة من الناس أو الحيوان أو الجماد؛ وقد أدى هذا الحذف دورا حجاجيا يتمثل في توكيد المعنى وتقوية الحجة؛ إذ فسح للمخاطب مجالا لأن يدرج في ضوء فعل الرحمة ما شاء من المفاعييل مما يعايشه، أو يخطر بباله[4]؛ وذلك بحسب مقتضيات المقام.

_ قول الرسول الكريم:"كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"[5].

فقد حذفت الصفة المتعلقة بالمعروف وتقدير الكلام : (كُلُّ مَعْرُوفٍ صغير أو كبير صَدَقَةٌ)؛ وقد حذفت للتأكيد على أنّ كلّ معروف كان من طاعة أو إحسان أو عبادة صغيرة أو كبيرة فهي صدقة؛ فهذا الحذف فيه توكيد للمعنى وتأكيد للحجة؛ حيث أتاح للمخاطب أن يدرج تحت اسم المعروف ما شاء من الأفعال الصالحة؛ مما يعايشه المخاطب أو يتصوره.

7_ الآليات الحجاجية البديعية:

إن للبديع تأثيرا كبير في الحديث النبوي من حيث موقعه الحسن فيه؛ وكذا جذبه للمخاطب ؛ فهو أداة للإقناع والإبلاغ؛ وهو حجة ؛ إذ به تستمال القلوب؛ وتؤسر العقول؛ ومن ذلك ما نلحظه في قول الرسول الكريم: "عَلَيْكُمْ

---

[1] _ صحيح البخاري ، ج1، ص 6.
[2] _ ينظر:أمال بن موسى المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص230.
[3] _ المصدر نفسه، ج8، ص10.
[4] _ ينظر:أمال بن موسى المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص 236.
[5] _ صحيح البخاري، ج8، ص11.

بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتب عند الله كذابا"[1].

يرشد الرسول الكريم إلى ضرورة التحلي بالصدق آمرا بقوله (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ)، ويحذر من الكذب بقوله (وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ)؛ و حجاجية هذه المقابلة تتجلى في إيراد المعاني والإتيان بما يقابلها قصد البيان والتوضيح؛ بمعنى إيراد الكلام بما يقابله شرط الترتيب[2].

فتصبح : ح1 : عليكم بالصدق ح2: إياكم والكذب

ن1: يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة ن2 يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار

من خلال المقابلة بين الحجيتين والنتيجتين توضح للمخاطب فضيلة الصدق وعاقبته الحسنة؛ وقبح الكذب وعاقبته السيئة؛ ولهذا اعتمد الرسول الكريم هذه الآلية لأجل البيان والتوضيح.

خاتمة: نخلص من هذه المداخلة إلى النقاط الآتية:

- ✓ يعدّ الحديث النبوي نصا مقدسا له خصوصياته التي تميزه عن أي نص آخر؛ فهو مرتبط بوظيفة إبلاغية تشرعية ؛تهدف إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية، وبناء مجتمع يحمل قيما عليا قوامها مكارم الأخلاق[3].
- ✓ أنّ المكون الحجاجي في الخطاب النبوي يتفاعل مع المكون البنيوي والمقامي.
- ✓ أنّ الحجاج في الحديث النبوي ليس غاية في حد ذاته؛ وإنّما هو وسيلة وآلية لتحويل المضامين التشريعية والتربوية إلى منجز فعلي سلوكي وواقعي.
- ✓ السعي إلى الإقناع وتمكين الفكرة في ذهن المتلقي، وتحويلها من فكرة قابلة للنقاش إلى يقين مستقر.
- ✓ أنّ الحديث النبوي لا ينبني على حجة منطقية خالصة على نحو ما نجده في نظريات الحجاج الأرسطية وتطورتها الحديثة، ولكنه يستند على المتكأ السياقي الذي تتفاعل فيه العناصر سياقية تحكم عملية التواصل بين المتكلم والسامع؛(هذه العناصر قد تكون لغوية وغير لغوية تشترك في علمية الإفهام) .
- ✓ أنّ طرفي الخطاب في الحجاج النبوي لا يجمع بينهما العداء والصراع وطلب الغلبة والانتصار بخلاف ما هو موجود عند الغربيين(أرسطو والحجاجيين المحدثين)؛ فهو حجاج قائم على الشفافية والصدق لا الاختلاف؛ لأن المخاطب يؤمن بالنبي، وحديثه موجه إلى المسلمين الذين آمنوا به وصدقوه؛ فكلامه حق، وصدق وحجة.

---

[1] ـــ المصدر نفسه، ج8، ص25.

[2] ـــ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة،دار ابن الجوزي،مصر،ط1، 2010،ص 267.

[3] ـــ ينظر: أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، ص 32ـــ33.

- ✓ على الرغم من كون الخطاب النبوي هو خطاب خاص بالمجتمع المسلم؛ إلاّ أنه في حقيقته هو خطاب عام لجمهور واسع في كل زمان ومكان؛ ولا يخلو زمان أو مكان من وجود الجاحد والمعاند والكافر؛ وهذا يدل على قداسة النص وعصمة قائله، وتجعل الخطاب موجها إلى الجمهور المتلقي ؛ بغية تحقيق الاقتناع لدى المؤمنين في المرحلة الأولى وتحصيل الإقناع في مرحلة تالية لها إن تلقاه المعاندون؛ مما يعني أنّ الخطاب النبوي يعمل عملا مزدوجا ومركبا، لتحيق غاية من الغايات نحو: تعميق الاعتقاد أو دحضه أو استبداله.
- ✓ _ غاية الحجاج النبوي(الذي يعد خطابا قصديا موجها يروم تحقيق التأثير والتغيير) هو بيان الحقيقة، وتعديل السلوك، وترسيخ القيم والمعتقدات، بخلاف غاية الحجاج في الخطابات الأخرى(القرآن الحديث)؛ فهي إحراز المنفعة وتحصيل الفائدة.
- ✓ يعد الحجاج في الحديث النبوي آلية للإقناع والتأثير.
- ✓ _أن الحجاج النبوي هو أنموذج راقي في الحوار و الإقناع؛ يمكن أن يحتذى به في مجالات مختلفة؛ نحو: الدعوة،الفقه، الإصلاح الاجتماعي، السياسية، التربية،...